فراقية ابن زريق البغدادي على ضوء المنهج النفسي

دكتور / علي عبد الظاهر علي عبد اللطيف

مستخلص الدراسة

تتناول دراستنا فراقية ابن زريق، ذلك الشاعر البغدادي الطموح الذي قضى نحبة إثر مغامرة لتوفير سبل العيش الكريم له ولزوجه، فلم يلق إلا الإحباطات التي أودت بحياته حيث مات كمدًا، رأيتها مادة خصبة جدا للدراسات النفسية؛ فهي وليدة معاناة نفسية صدرت عن ذات شاعرة حساسة، وعن خبايا لا تتكشَّف إلا من خلال دراسة نفسية واعية، لنص أدبي رائع .

عبَّر ابن زريق البغدادي في قصيدته اليتيمة بإخلاص عما يعتمل في نفسه من مشاعر والآم، وأخذ يرسم لنا بكلماته ما عاناه من عسر الحال وتجربته مع محبوبته، فأبان لنا خبرته وفهمه للحياة والناس .

لاحظنا أن القصيدة قد شاع فيها صراع داخلي تماوج ما بين الشدة والهدوء والتأزم بين مكونات النفس الإنسانية (الأنا) و(الهو) و(الأنا العليا)، كما ظهرت لنا بعض خبايا اللاشعور، حيث برزت غرائز عدة، حاول الشاعر إخفاءها واستطعنا الوصول إليها من خلال معطياتها، كما تبين لنا سيطرة (الأنا) على كثير من أبياتها، وشاعت في القصيدة ظاهرة (جلد الذات) كإفراز لإحساسه الشديد بالندم، وكذا لمسنا تأكيد الشاعر عملية التواصل الروحي والمشاركة الوجدانية في الأحاسيس والأفكار بينه وبين محبوبته، والكثير من اللمحات الإنسانية والظواهر النفسية التي برزت مؤذنة بقرب النهاية الحتمية.

الكلمات المفتاحية: فاريا – ابن زريق – منهج نفسي – شعراء قصيدة واحدة – اكتئاب – فاقد الوعي – صراع

(Farqiah ofI Ibn Zureiq al-Baghdadi depending on the psychological approach)

Dr, Ali Abdelzaher Ali Abdellatif

Abstract

Our stud deal with, Farqiah Ibn Zureik, the ambitious Baghdadi poet, who died after an adventure to provide a decent livelihood for him and his wife, was not only the frustrations that led to his life where he died as a whole, I saw a very fertile material for psychological studies is the result of psychological suffering issued by the same sensitive poet and hidden Unfolds only through a conscious psychological study, to a wonderful literary text. In his poem, Ibn Zureiq al-Baghdadi sincerely expressed his feelings and feelings in his own words. He began to draw in his words the hardships he experienced and his experience with his beloved, and gave us his experience and understanding of life and people.

We have noticed that the poem has become an internal conflict between the intensity and the calmness and tension between the components of the human soul (ego) , (Id) and (the Supreme Ego), and also appeared to us some of the hidden feelings, where emerged several instincts tried to hide the poet and we were able to access it through its data , As evidenced by the control of the ego on many of its verses, and the poem is a phenomenon of (self-flagellation) as a secret to its deep sense of remorse, as well as the poet's confirmation of the process of spiritual communication and emotional participation in the feelings and ideas between him and his beloved, and a lot of human glimpses and psychological phenomena that emerged A reminder of the inevitable end .

Key words : Farakia - Ibn Zureik - Psychological approach - poets one poem - depression - unconscious - conflict

فراقية ابن زريق البغدادي على ضوء المنهج النفسي

دكتور / علي عبد الظاهر علي عبد اللطيف

مقدمة

وجد المنهج النفسي لدراسة الأدب سبيله إلى النقد الأدبي انطلاقاً من أن النص الأدبي نتاج معاناة نفسية وتجربة وجدانية فريدة، فنحن حين نتعامل مع قصيدة من منطق المنهج النفسي فإننا نتعامل مع نص أدبي عميق المعاني، ثري الدلالات غنيّ بالظواهر النفسية، يكشف عن مكنونات الذات الإنسانية بمعانيها العميقة.

ولئن كان هناك من نقاد ومفكري العصور الحديثة من يرون أن للشعر جوانبَ مستترةً لا يفسرها إلا الموهبة والعبقرية فإن الدراسات النفسية كشفت كثيرًا من صفات العبقرية بواسطة البحوث التجريبية المتمثلة في المقاييس والاختبارات النفسية سواءً ما يتعلق بالعباقرة أو الذكاء، على أساس أنه مكون من مكونات العبقرية في الإبداع (1)

ولا شكَّ أنَّ هناك تفاعلاً وتجاوباً بين النص الأدبي وعلم النفس؛ ذلك أنَّ نظرية التحليل النفسي ونظرية النص الأدبي "تقدم كلٌّ منهما المعرفة للأخرى، وحيث إنَّ الوضع الحقيقي للمحلل النفسي يصبح داخل النص وليس خارجه فإنَّ التعارض الواضح والحدود الصارمة بين الأدب والتحليل النفسي تتلاشى" (2) .

فلم تعد دراسة الأدب من حق الناقد الأدبي وحده، بل من حق علم النفس أيضًا، فكان لزامًا على النقد الأدبي أن يوسع دائرة بحثه في وجه المنافس الجديد (علم النفس) الذي أخذ على عاتقه الإجابة عن تساؤلات عديدة لم يعرها النقاد أهمية من قبل . (3)

وفي عصرنا الحديث وجدنا النقاد قد تعاملوا مع معطيات علم النفس في دراسة النصوص وشخصية المبدع الأدبي، فهناك العقاد الذي لم يتوان عن التصريح برأيه قائلاً :" إن مدرسة التحليل النفسي هي أقرب المدارس إلى الرأي الذي ندين به في نقد الأدب ونقد التراجم ، ونقد الدعوات الفكرية جمعاء" (4) مؤكداً إيمانه القاطع، ودون إخفاء

لتحمسه الزائد في أنه : " إذا لم يكن من بدٍّ من تفضيل إحدى مدارس النقد على سائر مدارسه الجامعة، فمدرسة النقد السيكولوجي، أو النفساني أحقها جميعاً بالتفضيل في رأيي وفي ذوقي؛ لأنها المدرسة التي نستغني بها عن غيرها، ولا نفقد شيئاً من جوهر الفن أو الفنان المنقود" . (5)

والمتتبع لنشأة الاتجاه النفسي في النقد سيجد أن لدينا آراء عدة حول هذه النشأة في النقد الأدبي الحديث عندنا، نها ما ذكره مصطفى سويف في مقدمة كتابه الأسس الفنية في الإبداع الأدبي) في الشعر خاصة، حيث يرجع نشأة هذا الاتجاه إلى الأستاذ أمين الخولي فيقرر أن " الأستاذ أمين الخولي هو أول من دعا في مصر إلى قيام الدراسات النفسية للأدب . (6)

وبالنظر في تجربة مصطفى سويف في كتابة (الأسس النفسية للإبداع الفني) ، فإننا نجده من أهم التجارب والبحوث النقدية التي أخذت بمنهج التحليل النفسي، حيث رسم من خلالها اتجاهاته المناهجية والمعايير التي تقيم وزناً مؤثّراً للعوامل الخارجية عبر تحديد الإطار المرجعي لقيمة الفنان وإبداعه الأدبي وهي من العلامات الهامة البارزة التي أتت بعد ريادة العقاد لهذا المنهج، مع الأخذ في الاعتبار أن تجربة مصطفى سويف ليست تجربة نقدية ، فهو رائد من رواد علم النفس، إنما هي تجربة تبحث في كيفية إبداع الشاعر دون أن ننسى تجربة محمد النويهي في كتابه (نفسية أبي نواس) (7) .

ومنها أيضاً ما كتبه عز الدين إسماعيل في كتابه (التفسير النفسي للأدب) (8) وما تناوله مصري حنورة في كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية) (9) الذي يعد امتدادا لمصطفى سويف .

ويمكن تصنيف الدراسات النقدية الأدبية التي تتخذ من نتائج الأبحاث النفسية أسسا تصدر عنها إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : وأعني بها تلك الدراسات التي تتميز بطابع تطبيقي، وذلك عندما يعمد الناقد إلى محاولة تطبيق نظرية نفسية ما في عمل نقدي، سواء درس شخصية شاعر ما من الشعراء، أو قام بتفسير ظاهرة فنية ما في شعره طبقا تلك النظرية، وذلك مثل (أبو نواس) للعقاد ، وكذلك (نفسية أبي نواس) للدكتور محمد النويهي، ودراسة العقاد لـ (التصغير في شعر المتنبي) وتناول طه حسين لسخرية المعري في كتابه (مع أبي العلاء في سجنه) وتناقُض أبي العلاء الفكري في (رأي في أبي العلاء) لأمين الخولي ، وكذلك تفسير عز الدين إسماعيل للنسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية، وكثير ن تفسيراته للنصوص، وإثبات الدكتور محمد غنيمي هلال حقيقة وجود قيس في دراسته (الحياة العاطفية) وغيرها .

اما المجموعة الثانية فتتسم بطابع تحليلي وهي وإن صدر النقاد فيها عن أسس نفسية إلا أنهم لا يعمدون إلى التطبيق، ويتضح الاتجاه النفسي تلقائيا في تحليلهم نتيجة رصيد نفسي لديهم في هذا المجال مثل بعض دراسات غالي شكري النقدية كما في (قصيدتان ومرحلتان) وغير ذلك كثير من دراسات طه حسين التي يستفيد منها من ثقافته النفسية وبعض نقدات الدكتور مندور ورجاء النقاش في (أدباء معاصرون) (10)

وتأسيساً على ما تقدم، فيحاول هذا البحث تسليط الضوء على إحدى الفرائد الشعرية التي نعدُّها وغيرنا من عيون الشعر العربي، ألا وهي (فراقية (أوعينية أوهائية) ابن زريق من منطلق دراسة نقدية تتَّبع المنهج النفسي .

في حقيقة الأمر هالتني القصيدة حين قرأتها للمرة الأولى، ودفعني الفضول العلمي إلى إعادة قراءتها من خلال دراسة تكشف عما حوته من دلالات وخبرات نفسية ساعيًا إلى أنْ تكون تلك الدراسة في مستوى ثراء روعة الكلمات ومكنون دخائلها، فوجدتني أنساق انسياقًا إلى المنهج النقدي النفسي . فقد رأيت قصيدةً رائعةً تموج بالأحاسيس

الراقية، وتفيض عذوبتها من خلال نشاط نفسي واعٍ، فكل كلماتها صدى لانفعال داخلي، ولا أتخيل أنَّ أحدًا يتصدى لها بالدراسة أو التحليل وهو يغفل الجانب النفسي .

كما أنني رأيتها مادة خصبة جداً للدراسات النفسية؛ فهي وليدة معاناة نفسية صدرت عن ذات شاعرة حساسة، وعن خبايا لا تتكشَّف إلا من خلال دراسة نفسية واعية، لنص أدبي رائع بكل المقاييس الأدبية التي كتبت له الخلود، وهذا ما تحاول دراستنا الوصول إليه، مستخدمًا المنهج الوصفي بوصف ما ترمي إليه الأبيات، والمنهج النفسي مستخلصًا الظواهر النفسية بالقصيدة معتمدًا على نظريات التحليل النفسي التي وضعها فرويد، في صدد هذه الظواهر، في محاولة لإيجاد تفسير نفسي لمرامي الشاعر، وتجربته الإبداعية انطلاقًا من رؤية علماء النفس لها .

ومن نافل القول إنَّ هناك عوامل عدة كتبت الخلود لتلك القصيدة، يأتي على رأسها تلك النهاية الدراماتيكية لكاتبها، ذلك الفنان المبدع الذي أجاد إخراج مشاعره بقوة ومهارة تثيران الإعجاب، في آخر لحظات حياته، وكأنَّه يحكي سيرة ذاتية استخلصها فيما يشبه (فضفضة) إنسانية خرجت على قلمه لتسجل أبياتًا رائعةً، فضلًا عن أنَّ القصة التي دارت حول القصيدة، تحمل خلاصة ما كتبه شاعرنا في رائعته، وكذا صدقها الفني الناتج عن صدق التعبير عن المعاناة النفسية التي مر بها .

تمهيد

عُرِفَت هذه القصيدة بواحدة شاعر بغداد المعدم، علي بن زُريق البغدادي، (11) وقد ذكر له عمر فروّخ اسمين قائلا :" إنَّ ابن زريق له اسمان : الأول الحسن بن زريق البغدادي، والثاني هو علي بن زريق البغدادي"، (12) وجاء في معجم المؤلفين إنه : " أبو الحسن علي بن زريق البغدادي، شاعر، كاتب، انتقل إلى الأندلس، وقيل انه توفيَّ فيها سنة (420 هـ / 1029 م) وقد عرف بقصيدته العينية،" (15)وغالبية المصادر

ذكرت أن ابن زريق البغدادي تزوج ابنة عمه، وكان يريد أن يوفر لها وله عيشًا كريمًا فلم يجد الظروف مواتية في بغداد . "وقيل إنه هام بفتاة وأراد الزواج منها، وحال فقره دون ذلك، (وذكرت غالبية المصادر أنها زوجته) فقصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرَّب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلوه ويختبره فأعطاه شيئاً نزراً، فقال البغدادي : "إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، سلكت البراري والبحار والمهامه والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر" ، فانكسرت نفسه واعتلَّ ومات، ووجدوا عند رأسه رقعة كتب فيها قصيدته. (16)

أما من ناحية البناء الفني فقد بنيت واحدة ابن زريق على موضوعات عدة هي: العتاب الممزوج بالغزل العذري والشكوى والحكمة، إلا أنَّ موضوعها الأساس كان الشكوى. (17)

لشاعر ونسبة القصيدة إليه

ذكر المستشرق كارل بروكلمان أن أبا الحسن علي بن زريق البغدادي كان كاتبًا ببغداد في حدود سنة 420هـ/1029م. ثم رحل إلى أبي عبد الرحمن الأندلسي يرجو العطاء، فلما أعطاه عطاء نزرًا شقّ ذلك عليه، وحزّ في نفسه، فاعتل ومات، وقال قبل موته عينيته المشهورة في وصف حاله وشكوى أيامه، ونزوحه عن داره. و ذكر بروكلمان أن مخطوطة العينية في أربعين بيتًا موجودة في برلين. كما حدد تاريخ وفاته بأنها سنة 420 هـ في تاريخ أدبه العربي(18) .

وقد ذكر الصفدي(ت 764 هـ) في (الوافي بالوفيات) عن شاعرنا، وقصيدته :

"علي بن زريق، الكاتب البغدادي، له القصيدة التي مدح بها العميد أبا نصر وزير طغرلبك التي قال فيها أبو عبد الله الحميدي: قال لي أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم: يقال : من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظرف"(19) ويقصد بالقصيدة المذكورة فراقيته الشهيرة.

وقصيدة بهذه الروعة لا تتناسب وقلة شهرة قائلها الذي لم يعرف له إلا هذه القصيدة، ما جعل البعض يشكك في نسبتها إليه، وقد تنوعت الآراء المشككة في نسبة القصيدة إليه، ولعل السبب مرجعه أن ابن زريق لم يكتب غيرها، حيث لم يؤثر عنه فيما عداها إلا شذرات من أبيات بسيطة لا ترقى إلى أن تضعه في مكانة تليق بواحدته الفريدة، وتكهنوا أن تكون لغيره كأن تكون لفقيه رفض الكشف عن شخصيته أو لشاعر كبير أخفى نفسه وأن ابن زريق شخصية عنقائية الوجود وأن القصيدة قالها عدة شعراء (20) وأيا كانت التشكيكات فهي لن تؤثر على روعة القصيدة وعلو رصيدها الفني من الإبداع الأدبي، فعمق المأساة التي عاشها شاعرنا قد أفرزت لنا رائعته الفريدة، فلا نستبعد أن يكون شاعرنا نبغ كما نبغ الذبياني، فأصابت قصيدته ما أصابت من منزلة رفيعة .

والموازنة بين الآراء لا يحسمها رأي قاطع، فما كان ليعتل ويموت كمدًا على ضياع شعره وصغر المكافأة مقارنة بقصيدته إلا إذا كان واثقا من روعة شعره وقيمة قصيدة المدح التي مدح بها أبا عبد الرحمن الأندلسي، (رغم أن القصيدة لم ترد في أي مصدر من المصادر) وعلو مكانته بين قومه في بغداد، فهذا ينفي كونه مغمورًا خامل الذكر خلدته قصيدة واحدة، فضلًا عن (سيمترية) القصيدة بأسلوب واحد من بديتها لنهايتها ينفي أنَّ هناك أكثر من واحد قد أضاف عليها، وإذا كان قائلها فقيهًا مجهولًا أخفى نفسه

فلماذا أخفاها ؟ ومن هو؟ ولماذا نفترض المجهول مادام المعلوم واقعًا أمامنا في أكثر من رواية ؟ !

فكلها اجتهادات، ولو انطلقنا وراء تفنيد كل رواية لاستغرق الأمر بحوثًا طويلة لا مجال لها في دراستنا، وسيكون المنطلق من الرواية التي اعتمدها النقَّاد والشُّراح من أنه قالها قبيل وفاته مباشرة، ومات وهي بين يديه، ويجد الباحث نفسه مضطرًا إلى تحييد العناصر المحيطة بالقصيدة وأهمها نسبة القصيدة لقائلها، فمن نافل القول إنَّ القصيدة ستفقد سحرها ورومانسيتها لدى التوقف بإزاء علامات الاستفهام التي تحيط بشخصية قائلها. رغم أن المقدمة والتمهيد السابقين ضرورتان لا غنى عنهما؛ لإضاءة النص بما يكشف عن الظروف المحيطة بالقصيدة، وسواء أعطاه الممدوح مالاً نزراً ليختبره أو ضنًّا عليه بالمال، فهذا أيضا ضمن ما نحيّده، وهذا مما لا مفر منه؛ لأننا لو سرنا وراء هذه العناصر لأعيانا البحث ولخرجنا عن موضوعنا الرئيس وهو التحليل النفسي للقصيدة، وعلى كلٍ فقد نام نومته الأبدية ملء جفونه عن شواردها، لنسهر جرَّاها ونختصم، فآثرنا أن يكون التعامل معها كنص أدبي نتاج معاناة شاعر عبقري .

القصيدة

سميت هذه القصيدة بـ (القصيدة اليتيمة)؛ لأنَّ ناظمها لم ينظم في حياته غيرها، فهي القصيدة الوحيدة التي وصلت إلينا ، وبـ (الفراقية) ؛ لأنَّ موضوعها الفراق والبعد عن محبوبته، وبـ (العينية)، لأنَّ رويَّها عين المضمومة، والهاء هي وصل وحركة الهاء هي الخروج في علم العروض. ومنهم من أسماها (أم الغرائب)؛ لأنها ليست من نظمه، ولكنها من شعر الجن، قالوها وهم يعايشون حياته، وكتبوها ثم وضعوها في رقعة تحت رأسه عند موته (21) ولعل ذلك يشير إلى أن الحكاية والقصيدة أصبحتا من التراث الشعبي المتناقل مشافهة بين الناس، وما يدعم رأينا هذا أن الجواري كن يتغنين بها في مجالس الأمراء والطرب، (22) بالإضافة إلى تبديل بعض الكلمات في القصيدة دون المساس بموسيقاها العذبة.

اختار لها بحر البسيط "وهو وزن كثير المقاطع، يصبُّ فيه الشاعر من أشجانه ما يتنفس عنه أحزانه وجزعه " (23) والبحر البسيط من البحور المركَّبة، يتألَّف من ثماني تفعيلات، من خلال التكرار المتناوب بين تفعيلتي (مستفعلن) الطويلة و(فاعلن) القصيرة، فضلاً عن الموسيقى الداخلية والقافية يظهر الجمال الموسيقي في القصيدة كما في قوله :

قد كان مضطلعًا بالخطب يحمله فضيقت بخطوب الدهر أضلعه

(مستفعلن) (فعلن) (مستفعلن) (فعلن) (مستفعلن) (فعلن) (مستفعلن) (فعلن)

فقد استخدم البسيط مخبون العروضة والضرب، وربما كانت الحال النفسية للشاعر قد دعته إلى اختيار البحر البسيط المخبون، إذ يرى عز الدين إسماعيل "أنَّ الشعراء يعبِّرون عن حال الحزن بالأوزان الطويلة " (24)

وقد نسب الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير النفسي للأدب إلى الخليل أنه لاحظ أن بعض الأوزان الشعرية أخص من بعض ببعض الأغراض ؛ حيث ذكر أن بعض الأوزان " يتفق وحالة الحزن ، وبعضها يتفق وحالة البهجة ، وما إلى ذلك من أحوال نفسية . وعلى هذا فالشاعر حين يعبر عن نفسه من خلال الوزن المعين ، إنما

يختار لنفسه أكثر الأشكال الطبيعية تناسبا مع حالته الشعرية ، وعندئذ يمكن أن يقال : إن الوزن ، رغم أنه صورة مجردة ، يحمل دلالة شعورية عامة مبهمة ، ويترك للكلمات بعد ذلك تحديد هذه الدلالة " (25)

ولو طبقنا نظرية الخليل لوجدنا أن شاعرنا قد لجأ إلى بحر البسيط بوصفه ملاذًا يبث من خلاله لواعجه وآلامه، موظفًا تفعيلاته كأنّات يعزف بها على قيثارة أحزانه، فعلى الرغم من أن واحدة ابن زريق بنيت على عدة موضوعات منها العتاب الممزوج بالغزل العذري والاعتذار والحكمة، فموضوعها الأساس هو الشكوى.

والقصيدة تخلو من الكلمات الصعبة، وهي غزلية، رقيقة، لطيفة، تحمل عواطف جياشة وصادقة، فلا عجب أن أصبحت من عيون الشعر العربي، وأن يعدها فاروق شوشة واحدة من أجمل عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، (26) وتتميز بالوحدة العضوية إلى حد كبير؛ فهي تسير في خيط شعوري واحد من أولها حتى آخرها، كما تتسلسل في خيط فكرى واحد ما يسهّل عملية التحليل النفسي . وأبياتها :

1- لا تعذليه فإنّ العَذلَ يُولعُهُ قد قلتِ حقًّا ولكن ليس يسمعُهُ
2- جاوزتِ في لَوْمِه حَدًّا أضَرّ به من حيثُ قدّرْتِ أن اللومَ ينفعُهُ
3- فاستعملي الرفقَ في تأنيبهِ بدلاً من عذله فهو مُضنَى القلبِ مُوجعُهُ
4- قد كان مُضطلعًا بالخَطبِ يحمله فَضُلّعتْ بخُطوبِ الدهرِ أضلعُهُ
5- يكفيه من لوعة التفنيد أنّ له’ من النوى كلَّ يوم ما يُروّعُهُ
6- ما آبَ من سفرٍ إلا وأزعجه رأيٌ إلى سفر بالبين يجمعُهُ
7- تأبى المطالب إلا أن تجشّمه للرزقِ كدحًا وكم ممن يودعُهُ
8- كأنما هو من حِلٍّ ومُرتحلٍ مُوَكّلٌ بفضاءِ الله يذرعُهُ
9- إذا الزمانَ أراه في الرحيلِ غنىً ولو إلى السّند أضحى وهو مربعه
10- وما مجاهدةُ الإنسان واصلةً رزقًا ولا دَعَةُ الإنسانِ تقطعُهُ
11- قد وَزّعَ اللهُ بين الخلقِ رزقَهمُ لم يخلقِ اللهُ من خَلْقٍ يُضيّعُهُ

12- لكنهم كُلِّفُوا حرصًا فلست ترى مسترزقًا وسوى الغايات تُقْنعُهُ
13- والحرصُ في الرزقِ والأرزاقُ قد قُسِمَتْ بَغِيٌ ألّا إنّ بَغْيَ المرءِ يصرعُهُ
14- والدهرُ يعطي الفتى من حيثُ يمنعُهُ إرثًا ويمنعه من حيثُ يُطْمعُهُ
15- استودعُ اللهَ في بغدادَ لي قمرًا بالكرخِ من فَلَكِ الأزرارِ مَطلعُهُ
16- وَدّعتُهُ وبِوُدّي لو يُودّعُني صفو الحياةِ وأنّي لا أُودعُهُ
17- كم قد تشفع بي أن لا أفارقه وللضرورة حالٌ لا تُشَفّعُهُ
18- وكم تشبثَ بي يوم الرحيلِ ضُحىً وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعُهُ
19- لا أكْذِبُ اللهَ ثوبُ الصبرِ مُنخرقٌ عنه بِفُرقَتِهِ لكن أُرَقِّعُهُ
20- إنّي أوسع عُذري في جنايته بالبينِ عني وجُرمي لا يُوَسِّعُهُ
21- رُزقتُ مُلكًا فلم أُحسن سياستَهُ وكُلّ من لا يسوسُ المُلكَ يخلعُهُ
22- ومنْ غدا لابسًا ثوبَ النعيمِ بلا شُكْرٍ عليه فإنّ اللهَ ينزعُهُ
23- اعتضتُ من وجهِ خِلّي بعد فُرقته كأسًا أُجرّعُ منها ما أجرعُهُ
24- كم قائلٍ لي (ذُقتَ البينَ) قلتُ له الذنبُ والله ذنبي لستُ أدفعُهُ
25- ألا أقمتَ فكان الرشدُ أجمعُهُ لو أنني يومَ بانَ الرُّشدُ اتبعُهُ
26- إنّي لأقطعُ أيامي وأُنفدها بحسرةٍ منه في قلبي تُقَطّعُهُ
27- بمن إذا هجعَ النوّامُ بِتُّ له بلوعةٍ منه ليلي لستُ أهجعُهُ
28- لا يطمئِنُ لجنبي مضجعٌ وكذا لا يطمئنُ له مُذ بِنْتُ مَضجعُهُ
29- ما كنتُ أحسبُ أن الدهرَ يفجعني به ولا أنَ بي الأيام تفجعُهُ
30- حتى جرى البينُ فيما بيننا بيدٍ عسراءَ تمنعني حظّي وتمنعُهُ
31- قد كنتُ من ريبِ دهري جازعًا فرقًا فلم أَوقَّ الذي قد كنتُ أجزعُهُ
32- باللهِ يا منزلَ العيشِ الذي درست آثاره وعفت مُذْ بِنتُ أربعُهُ
33- هل الزمانُ معيدٌ فيك لذتنا أم الليالي التي أمضَتهُ تُرجعُهُ
34- في ذمة اللهِ مَنْ أصبحت منزله وجاد غيثٌ على مغناك يمرعُهُ
35- من عنده لي عهد لا يُضيّعه كما له عهدُ صدقٍ لا أُضَيّعُهُ

36- ومَنْ يُصدّعُ قلبي ذكره وإذا جرى على قلبه ذكري يُصَدِّعُهُ
37- لأصبرنَّ لدهرَ لا يمتعني به ولا بي في حالٍ يُمَتِعُهُ
38- علمًا بأن اصطباري مُعقبٌ فرجًا فأضيقُ الأمر إن فكّرتَ أوسعُهُ
39- عسى الليالي التي أضنت بفُرقتنا جسمي ستجمعني يومًا وتجمعُهُ
40- وإن تغل أحد منا منيته فما الذي في قضاء الله يصنعُهُ (27)

شخصية الشاعر

لا يختلف اثنان على أن الشاعر كتب قصيدته وهو في حال نفسية مزرية تتضح في كل كلمة من كلماته وتنضح بعاطفة الأسى الناتج عن مرارة جاءت كإفراز طبيعي لمأساة تمثّلت في تحطم الآمال على صخرة الواقع، أما عن شخصية الشاعر فمن خلال القصيدة تتضح شخصيته الحائرة المترعة بالحزن الشديد، التي قابلت من الصدمات ما أنهى حياته حزنًا وكمدًا؛ نظرا لقسوة الظروف التي مرَّ بها، ولم تقوَ عليها عزيمته التي قابلت الإحباط تلو الآخر، وقاومت الرغبة الشديدة في أنس الحبيبة ليحمل كل أسلحته ليقاوم وضعًا مريرًا، محاولةً لتغيير واقع بئيس ما جعل الحزن يتسرب إلى نسيج نفسه، كما تسرَّب إلى نسيج وجوده الإنساني، وثيمة الحزن التي طغت على القصيدة جاءت نتاج عجز الشاعر عن إشباع دوافع النفسية والانفعالية، حيث حالت دون ذلك كثير من الظروف التي وقفت سدًا منيعًا لمواجهة تلك الدوافع والنزعات المشروعة .

كذلك يمكننا أن تستشف الكثير من صفات الشاعر التي برزت من خلال الأبيات، وأرى أن من أهمها هي صفة التدين، تلك الصفة التي جعلته يتقبل قضاء الله فلم يبدِ اعتراضا ولم يلقِ باللائمة إلا على نفسه، ويبدو أنه مستسلم تماما لقضاء الله فيه ويبدو هذا الاستسلام في :

كأنما هو من حِلٍّ ومُرتحلٍ مُوَكّلٌ بفضاءِ الأرض يذرعُهُ
قد وَزّعَ اللهُ بين الخلقِ رزقَهمُ لم يخلقِ اللهُ من خَلْقٍ يُضيّعُهُ

عسى الليالي التي أضنت بفُرقتنا جسمي ستجمعني يومًا وتجمعُهُ

وإن تغل أحد من منيته فما الذي بقضاء الله نصنعه

كما أنه قد ذكر لفظ الجلالة عشر مرات في أبياته الأربعين هو ما يعني أنه ذكر الفظ في ربع أبياته وهذه نسبة ليست قليلة، إن دلت على شيء فإنها تشير إلى روح التدين لديه، فلم يذكر لفظ الجلالة إلا بالتقديس والاستسلام لقضائه سبحانه جل وعلا .وحين نتطرق إلى دراسة القصيدة على ضوء المنهج النفسي نجد أنه من الأهمية بمكان أن نعرج إلى ما استخدمه الشاعر من وسائل التأثير النفسي التي نفذت إلى وجدان المتلقي من خلال استعراض القصيدة والتي نراها في :

- استخدام أسلوب الحوار الفني الذي يكشف عن الفكرة من خلال تجاذب أطراف الحديث .

- استخدام أسلوب القصة والحكاية بسرد مأساته مع زوجته في إطار قصصي به الشخوص (هو وزوجه) والزمان (الضحى) والمكان (الكرخ، فلك الأزرار، غربته) والحدث مفارقته محبوبته وتشبثها به وخيبة أمله في غربته . في مشهر حسي حركي كلقطة سينمائية لمشهد مؤلم .

- كما يبدو لنا عمق تأثير تلك القصيدة في المتلقي من خلال الصدق الفني، ذلك الصدق الذي يتبلور في صدق الشاعر في تعامله مع موضوعها، وكذلك صدقهُ في عرض أفكاره وصدقه في التعبير عن مشاعره وصدق العاطفة التي كانت نتاج مأساة حقيقية محورها الأسى وتفرع عنها الندم والاعتذار والحزن والقلق والشوق عبّر عنها بكلمات موحية بكل معاني الألم.، فقد حاول الشاعر أن يصور لنا آلامه وعشقه لمحبوبته، مبرزاً حالته العاطفية ومشاعره الوجدانية من خلال الكلمات، فالصدق لا يعني النقل الحرفي للواقع المادي، بل هو التعبير عن حقيقة الانفعال الذي ينفعل به الإنسان

أمام هذا الواقع في تجربته الحيوية، لأن الفن هو الحقيقة الإنسانية مصورة من خلال نفسية الفنان.

- استخدام أقوى أساليب التوكيد وهي عن طريق القسم سواء كان صريحًا أم غير صريح ،سواءً صرَّح بأداة القسم أم لم يصرِّح، وذلك في :

بِاللَهِ يا مَنزِلَ العَيشِ – فِي ذِمَّةِ اللَهِ مِن أَصبَحَت مَنزلَهُ – لَأَصبِرَنَّ على دهر لا يُمَتِّعُنِي – لا أَكُذبُ اللَهَ ثوبُ الصَبرِ مُنخَرقٌ . إنّي لأقطعُ أيامي وأُنفدها .

- سلامة الأفكار عن طريق الحكم التي ضمنها أبياته مثل:

وما مجاهدة الإنسان توصله	رزقاً ولا دعة الإنسان تقطعُهُ
والله قسم بين الخلق رزقهم	لم يخلق الله مخلوقا يضيعُهُ
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا	شكر الإله فعنه الله ينزعُهُ
.....	وكل من لا يسوس الملك يخلعُهُ

- قوة التأثير عن طريق استخدام قافية العين المنتهية بالهاء المضمومة وكأن كل بيت آهة صارخة كدفقة شعورية تحمل آلامه وأودعها ما يعتمل في نفسه من مشاعر فاقت احتماله.

وهذه الوسائل استخدمها الشاعر (شعوريا أو لاشعورياً) بحرفية فنان مبدع يعرف كيف تنفذ كلماته إلى المتلقي بأيسر السبل، فجاءت كلماته نابضة بهذه الأحاسيس مشبعة بظواهر نفسية نتاج معاناته، وهذه الظواهر كما رأيناها هي :

الاستهلال وصراع (الأنا) و(الهو) و(الأنا) الأعلى

افتتح شاعرنا قصيدته بغزل ممزوج بعتاب الحبيبة، وفي حقيقة الأمر يحار العقل في تمييز الطرف الثاني في الحوار ! فهل يحاور نفسه، أم يحاور محبوبته؟ أنفسه هي

التي تلومه على أفعاله التي لم ترض عنها ، أم زوجته محبوبته هي التي تلومه؟ في حوار مفتعل، بأسلوب مشوق يجعل النفس تتلهف إلى معرفة ما دار بينهما من كلام من خلال هذا العتاب الرقيق، ، فعمد إلى إثارة أسماع المتلقي بهذا العتاب، وعُدّ هذا الافتتاح مفتاحاً للحدث الشعري، فقال في مطلعها :

لا تَعذَلِيه فَإِنَّ العَذلَ يُولِعُهُ قَد قَلتِ حَقاً وَلَكِن لَيسَ يَسمَعُهُ

ثم يقول :

جاوَزتِ فِي نصحه حَداً أَضَرَّبِهِ مِن حَيثَ قَدرتِ أَنَّ النصح يَنفَعُهُ

فَاستَعمِلِي الرِفق فِي تَأنِيبِهِ بَدَلاً مِن عَسفِهِ فَهُوَ مُضنى القَلبِ مُوجعُهُ

قَد كانَ مُضطَلَعاً بِالخَطبِ يَحمِلُهُ فَضُيِّقَت بِخُطُوبِ البين أَضلُعُهُ

يَكفِيهِ مِن لَوعَةِ التَشتِيتِ أَنَّ لَهُ مِنَ النَوى كُلَّ يَومٍ ما يُروعُهُ

ما آبَ مِن سَفَرٍ إِلّا وَأَزعَجَهُ رَأيُ إِلى سَفَرٍ بِالعَزمِ يَزمَعُهُ

كَأَنَّما هُوَ فِي حِلٍّ وَمُرتحلٍ مُوَكَّلٍ بِفَضاءِ اللَهِ يَذرَعُهُ

إِذا الزَمانَ أَراهُ في الرَحِيلِ غِنىً إِلى السَنَدّ أَضحى وَهُوَ مربعُهُ

اقتصر الشاعر على هذه الافتتاحية المباشرة التي نفذ بها إلى الغرض مباشرة دون أن يستهلها بمقدمة غزلية أو خمرية أو طللية، فهذه آخر قصيدة يكتبها في حياته القصيرة، ويبدو أنه يشعر بهذا الشعور (كما يحدث عادة لمن يتوفى) والوقت لا يسعفه لمقدمات لغرضه الذي يلح عليه بالكتابة، وهو التسجيل الأدبي لمعاناته النفسية .

من خلال الأبيات تتضح شخصية الشاعر ومعاناته بين جوانب الشخصية البشرية ، تلك التقسيمة التي اعتمدها فرويد عالم النفس الشهير للشخصية الإنسانية، حيث تعتمد النظرة التحليلية للشخصية عند فرويد على ركائز ثلاث هي : (الهو) (28). و(الأنا) (29) و(الأنا) الأعلى (30)

وقد أوضحها القرآن في ثلاثة أنفس : فالنفس الأمارة هي (الهو) والنفس اللوامة هي (الأنا) العليا والنفس المطمئنة هي (الأنا) حين توفق بين رغبات (الهو) و(الأنا) العليا (31).وتتمثل في ضميره الذي يؤنبه على ترك محبوبته والسفر للمجهول .

استهلَّ شاعرنا قصيدته بالنهي لتلك (الأنا) العليا؛ ففيه ما يكفيه من الأسى والحزن، وهو نهي مُبَرَّر بما يليه من تعليل لرفض العذل (اللوم) الذي تلقيه تلك (الأنا العليا) الذي بلغ تأثيره على الشاعر باشتعال النيران في قلبه، رغم اعترافه المسبق بأنَّها على حق، وأنَّه هو المخطئ .

وهذا النصح لم يؤتِ ثماره؛ لتجاوزه الحد الذي أدَّى إلى الضد، فأضرَّ به النصح، ثم تعاود (هو)الشاعر استعطاف (الأنا العليا) أن تترفق معه؛ فقلبه لا يتحمل التأنيب واللوم؛ لأن أحزانه ومعاناته تتجدد يوميًا بما يروعه .

وتعاود (الأنا) عملية استبطان النفس (والاستبطان يعني ملاحظة النفس واستعراض الأحداث الماضية استعراضا مباشرًا يصف انشغال الفرد بذاته وقلقه عليها) (32) فالذات الإنسانية بطبيعتها "تسعى إلى التوازن النفسي والتكامل مع الآخرين، فإنها حين تصطدم بواقع مناقض لرغائبها يحول دون إشباع دوافعها تجنح إلى الرفض والتمرد والانطواء والاغتراب عن المجتمع، تتضح لدى الفرد في صورة اضطرابات نفسية وسلوكية، ولدى الشاعر في صورة معاناة شعرية ذاتية لكنَّها، بحكم أدبيتها تأخذ جانبًا فنيًا أو رمزيًا عامًا، للتعبير عن أزمة الشاعر النفسية في إطار تجربة وجودية شاملة قادرة على استكشاف العالم وإدراكه وإعادة صياغته من جديد، وفق رؤيا تكشف عن خفايا الذات والعالم؛ لأنَّ سيرة الشعراء تكمن في أغوار شعرهم، هذا إذا سلَّمنا أولًا بأنَّ سيرة الإنسان هي حوار مع ذاته ومع الواقع التاريخي، وثانيًا لأنَّ الشعر تعبير حقٌّ عن هذا الحوار" (33).

نجد شاعرنا يستعرض ما حدث له من فواجع جرَّاء جريانه وراء الحسابات المنطقية لـ (الأنا) ضاربًا بالعاطفة والنزعات النفسية لـ (الهو) عرض الحائط، فقد عانى الفقر الشديد الذي جعله متنقلًا في أرض الله، وما إنْ يسمع بمكان فيه شبح الرزق إلا وقد أصبح هناك، يرجو العيش الكريم . فتتوالى الشكاوى مما حدث له، وهو يقرَّ بأنّه هو المتسبب في تلك المعاناة المزدوجة له ولزوجته جرَّاء الطموح اللامتناهي. للأنا الطموحة

التي تحاول التوفيق بين رغبات (الهو) في الحصول على المال وتوجيهات ضميره (الأنا الأعلى) .

فعلى عكس المعهود من أن (الأنا) الأعلى (الضمير) توجّه (الأنا) و(الهو) وتعنفهما ، وجدنا الـ (أنا) عند الشاعر تعنف الـ(أنا الأعلى) بداخله، ملقيا باللوم عليها بحديث يضح بالألم والاعتراف بالذنب الذي أدَّى به إلى حال من الألم والتوتر النفسي الشديدين، حيث أوصلاه إلى تلك الحال النفسية من الاكتئاب الشديد، فالاكتئاب "يعمل على تغذية المشاعر السلبية والشعور بقلة الحيلة أمام القضاء والقدر والخوف من المستقبل، وتغييرات الحياة، " (34) وهذا الاكتئاب النفسي كما يصفه علماء النفس يمكن أن يصف "حالة مزاجية، ولا يصف بالضرورة حالة مرضية أو عرضاً، أو مجموعة أعراض متشابكة، فالظواهر التي يحتويها اضطراب الاكتئاب ما هي إلا مزيج من الاضطرابات الفسيولوجية، وبعض الأعراض النفسية الأخرى، هذه الاضطرابات الفيسيولوجية والنفسية بالإضافة إلى أنماط أخرى من السلوك المعتاد وغير المدرك قد يؤديان بالمريض إلى حالة من الحزن المتكرر" (35).

ومن خلال رؤية علماء النفس للاكتئاب نجده يصف حالة شاعرنا، وهو على وعي تام بأسباب ذلك الاكتئاب بدليل اعترافه بالخطأ في حق نفسه وزوجه، وهو أنه لم يستمع إلى نداء العاطفة، مستجيبًا لنداء الحسابات المنطقية التي تتطلب تنحية العاطفة جانبًا ما أدَّى به إلى تلك الحال النفسية .

ثنائية الشعور واللاشعور

ثم نراه يقول :

تأبى المطامعُ إلا أن تُجَشّمه ... للرزق كداً وكم ممن يودعُهُ
وَما مُجاهَدَةُ الإِنسانِ تَوصِلُهُ ... رزقَاً وَلا دَعَةُ الإِنسانِ تَقطَعُهُ
قَد وَزَّع اللهُ بَينَ الخَلقِ رزقَهُمُ ... لَم يَخلُق اللهُ مِن خَلقٍ يُضَيِّعُهُ
لَكِنَّهُم كُلِّفُوا حِرصاً فلَستَ تَرى ... مُستَرزِقاً وَسِوى الغاياتِ تُقنُعُهُ
وَالحِرصُ في الرِزقِ وَالأَرزاقِ قَد قُسِمَت ... بَغِيُ أَلّا إِنَّ بَغيَ المَرءِ يَصرَعُهُ

وَالدهرُ يُعطِي الفَتى مِن حَيثُ يَمنَعُه إِرثاً وَيَمنَعُهُ مِن حَيثِ يُطمِعُهُ

يبرز خلاصة تجاربه في حياته القصيرة بحكم رائعة تدور حول الطمع الذي يودي بصاحبه رغم أن كثرة الرزق لا ترتبط بالنشاط والمهارة والكسل في تحصله، وأنَّ الله سبحانه قسَّم الأرزاق على الجميع بالتساوي، وما قلاهم ليتعذبوا بالفقر، ولكنَّها الطبيعة البشرية التي تأبى إلا المزيد الذي يودي بصاحبه إلى هلكته، فالدهر يمنح الإنسان من حيث لا يتوقع ويمنعه من حيث يطمع .

ويتفق سير الشاعر ونظرية (هرم ماسلو) لتوزيع الحاجات الإنسانية، تلك التي رتبها (ماسلو) في صورة هرمية بسيطة، فهناك الحاجات الأساسية (الضرورية)، مثل: الحاجات الفسيولوجية كالحاجة إلى الطعام والنوم، وغيرها تليها حاجات النمو: وتشمل الحاجة إلى المعرفة، والحاجة إلى الجمال ، والحاجة إلى تقدير الذات. وفي مستويات هذه الحاجات، لا يشعر الفرد بالحاجة الثانية حتى تتحقق مطالب الحاجة الأولى، ولا يشعر بالحاجة الثالثة حتى يشبع الحاجة الثانية، وهكذا بالنسبة للحاجات الأخرى (35) .

فالشاعر جعل الحاجات الأساسية في المقام الأول، حيث جعل لها الأولوية في الإشباع؛ لأن بدونها لن يستطيع إشباع بقية الحاجات والطموحات التي يسعى إليها. وصولا إلى تحقيق الذات، ومن ثم تقدير الذات وهي قمة هرم (ماسلو)، وهو ما عبَّر عنه في أبياته السابقة، مبدياً تألمه من السير وراء الحاجات الضرورية بعيدًا عن محبوبته التي حرم منها بسبب طموحاته.

بالطبع قد سار الشاعر وراء تلك الحاجات مستجيبا لدوافع المنطق دون معرفته بطبيعة الحال بماسلو وهرمه الذي جاء بعده بقرون .

وتتجلى أزمة الشاعر النفسية في ذلك الصراع بين طموحاته وحبه محبوبته؛ لأنه يوقن أن تحقيق الطموحات ربما يجعل من قربه من حبيبته أكثر ، أو أنه لحبه لها وولعه بها يتمنى أن تعيش في أمن وسعادة مادية، فجمع بين المادي والمعنوي.

على أن هذه الأمور قد تكشَّفت له مؤخرًا في نهاية حياته، وكشفت الغشاوة علي عينيه، لتتضح له كثير من الحقائق من خلال نشاط العقل الواعي أدرك خلالها جميع أخطائه، ورغم أن ما قاله يمثل قمة الوعي إلا أن اللاشعور أو (اللاوعي) هو المتحكم في حديثه هنا، فهو لا يقيس حِكَمَه بما حدث له بقدر ما وجدناه يعطي حكمه لمن سيأتي بعده، فهو الآن في انتظار الموت، والموت هو الهاجس المسيطر على القصيدة، فقد رأى الحياة بمنظار أوسع من منظار تجاربه الخاصة الضيقة، فكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة، وما يؤكد رؤيتي لتحكم (اللاوعي) هنا تتابع الأفعال الآتية في متوالية أفقية :

(يودعه – تقطعه – يضيعه – (نفي) تقنعه – يصرعه – يطمعه) فكلها أساب ونتائج للموت، ويقفز إلى الأذهان قوله تعالى :

" لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ " (ق: 22)

ولا أستبعد أن تكون الآية السابقة هي المحرك الذهني من خلال مخزون محفوظ خرج بلاوعي ليعبر عن تلك العبارات، فقد تكشَّف بصره وشفَّ عن حقيقة الحياة قبل الموت، وللأسف أدركها متأخرًا في لحظة فارقة بين حياة عينية، وحياة غيبية، هي الحقيقة الأزلية، ولا أستبعد كذلك أنه انطلق لا شعوريًا من قوله تعالى : "" ...ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها .. " (هود : 56)

وكذا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده لن تموت نفس قبل أن تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه في غير طاعة الله فما عند الله لا يؤخذ إلا بطاعته. رفعت الأقلام وجفت الصحف" (36) حين قال :

قَد وَزَّع اللهُ بَينَ الخَلقِ رزقَهُمُ لَم يَخلُق اللهُ مِن خَلقٍ يُضَيّعُهُ

فالشاعر هنا قد تناصَّ مع الحديث السابق في المعنى، حيث يستودع دنيا لم يدرك حقيقتها إلا متأخرًا .

ثم يقول :

اِستَودِعُ اللهَ فِي بَغدادَ لِي قَمَراً بِالكَرخِ مِن فَلَكِ الأَزرار مَطلَعُهُ

وَدَّعتُهُ وَبوُدّي لَو يُوَدِّعُنِي صَفوَ الحَياةِ وَأَنّي لا أَودعُهُ

ونلاحظ هنا أنَّ شدة الاشتياق لمحبوبته أبرزت لنا ظاهرة نفسية أيضًا هي الكبت الغريزي الجنسي المترسب في اللاشعور؛ فهو يستودع الله في بغداد زوجته الجميلة التي وصف مكانها بالكرخ وبالتحديد في فلك الأزرار، وهنا تبرز أسئلة مهمة :

لماذا وصف موقعها بالكرخ بأن مكانها يقع في فلك الأزرار؟ لِمَ ألزم نفسه بهذا التحديد ؟ أما يكفيه بغداد ؟ ثم ألا يكفيه التحديد أكثر أنها في الكرخ ليذكر أنها تسكن فلك الأزرار .. ؟

وأغلب الظن عندي أن يكون هذا التحديد له مستويان :

- على مستوى الوعي : قلقه وخوفه من الموت في الغربة كشخص غير معروف دفعاه إلى ذكر عنوانه كاملًا حتى يسهل وصول خبر وفاته إلى أهل بيته .
- على مستوى اللاوعي : لا أستبعد انه يلمح (لا شعوريا) إلى الاشتياق الحسي الجنسي الذي لا يشبعه الا اللقاء الجنسي بـ (فكّ الإزار) والذي يقترب من عبارة (فلك الأزرار) الوارد بالقصيدة.

وما يؤكد نظرتي هذه أنه اختار (المضجع) في أبيات تالية لإلحاح مشهد اللقاء الحميمي والأنس بمحبوبته، فشوقه إلى إشباع الغريزة الحسية جعله يختار تلك العبارة دون سواها، فهو ليس ملزمًا في قصيدته بتحديد مكان محبوبته وزوجته حتى يصل إلى ذلك الـ (مضجع).

لا يطمئِنُ لجنبي مضجعٌ وكذا لا يطمئنُ له مُذ بِنْتُ مَضجعُهُ

ومن المعروف أن اللاشعور مجموعة الحوادث النفسية التي لا نشعر بها وتؤثر في سلوكنا، كالدوافع الغريزية، والذكريات المنسية، والأحلام، والرغبات المكبوتة. التي لم يتم إشباعها نظرا لتعارضها مع مبدأ الواقع، فالغرائز تكبت في

اللاشعور ولا تخرج إلا عن طريق الأحلام أو فلتات اللسان (37) كما يقول المثل العربي : "ما يطفح به القلب ينزلق به اللسان " .

وقد رأى فرويد أن وظيفة ذلك الـ (كبت) عند المبدع : " منع النزعات النفسية من السير في طريقها الطبيعي والإبداع عملية تفاعلية قوامها الاحتكاك المباشر الإيجابي بين الفرد والجماعة، فهو لا يتم في فراغ بل يندفع المبدع بنشاط غايته خفض حالات التوتر التي تنتابه وإعادة التوازن ، ومع انغماس المبدع في العمل يتزايد التوتر الدافع، وهذا النشاط الذي تحركه الدوافع وتؤججه العاطفة يبقي نشاطا عقليا تنتج عنه صورة جديدة" . (38) وهو ما حدث نتيجة إلحاح الاشتياق لزوجته ، وما يدعم رأيي هنا أن شاعرنا يعاود تأكيد تلك الفكرة بقوله :

إنّي لَأَقطَعُ أيّامِي وَأنفقُها بِحَسرَةٍ مِنهُ فِي قَلبِي تُقَطِّعُهُ
بِمَن إذا هَجَعَ النُوّامُ بِتُّ لَهُ بلَوعَةٍ مِنهُ لَيلى لَستُ أَهجَعُهُ
لا يَطمَئِنُّ لِجَنبي مَضجَعُ وَكَذا لا يَطمَئِنُّ لَهُ مُذ بِنتُ مَضجَعُهُ

فالعلاقات الإنسانية الوجدانية المتراكمة في العقل الباطن، أو الواعية بعقلها الظاهر قد تغربل الغرائز الجنسية، وتخمدها إلى حين؛ لأن الغريزة الجنسية تحتاج إلى زمن زاهٍ ، صافٍ ، خالٍ من الهموم و الأكدار، فتبقى المشاعر الإنسانية الراقية على السطح، لكن يظل أثر الغرائز طويلا في نفس الإنسان، لا يستطيع التصريح بها والإعلان عنها، فنلاحظ معاودة إلحاحه على الاشتياق الحسي بذكر معاناة المضجع (مرتين) كإحساس غير معلن بالحرمان الغريزي الذي يتمنى أن تشاركه محبوبته إياه، فلا يطمئن له مضجع، وكذلك محبوبته لا يطمئن لها بدونه مضجع ، في صورة صرخة ألم بتلك المعاناة التي لا يجرؤ أن يصرّح به، وهوما يبرز لنا ظاهرة نفسية تسمى (التعويض) وذلك بأن يستعيض المرء عن مظاهر الرغبة أو الميل الغريزي الذي اضطر إلى كتمانه وإخفائه في طيات نفسه بآخر أسلم عاقبة ويتفق مع عرف المجتمع ويرتبط بهذا المبدأ

في الفن ظاهرة نفسية تسمى (التسامي) وذك بأن يحول الإنسان طاقة غرائزه وميوله الفطرية من مظاهرها الوضعية الضارة بالمجتمع إلى أشكال عالية سامية يقرها المجتمع ويضعها في مرتبة أعلى منها (39)

فتحايل على الكلمات في اللاشعور بما يؤدي المعنى الذي لا يفضح دوافع اشتياقه؛ فما كان له أن يكشف سره مع زوجه محبوبته .

سيطرة (الأنا) و تأزُّم الصراع النفسي

وبدءًا من البيت الرابع عشر وحتى البيت السابع والثلاثين نطالع سرداً لقصة فراق مؤلم بين عاشقين .ومن الملاحظ في هذا السرد اعتماده على ضمير المتكلم ما يعكس حديث (الأنا) وهي المكون الثاني للنفس الإنسانية، وقد ذكرنا آنفا أن (الأنا) تحاول التوفيق بين رغبات الـ (هو) (الرغبات الغريزية) وتعليمات (الأنا) الأعلى (الضمير) .

ويمثل قمة هذا الصراع قول الشاعر :

كم قدْ تشفَّعَ بي أنْ لا أفارقه وللضرورة حالٌ لا تُشَفّعُهُ

وَكَم تَشبَّثَ بي يَومَ الرَحيلِ ضُحَىً وَأَدمُعِي مُستَهِلّاتٍ وَأَدمُعُهُ

ويرى علماء النفس أن الصراع : " حالة انفعالية سيئة لدى الفرد تنشأ عن وجود دافعين متناقضين ومتساويي الشدة في آن واحد مما يسبب لصاحبه حالة من التوتر والتردد والحيرة بسبب عجزه عن الوصول لحل أو صعوبة اتخاذ القرار بتفضيل أحد الدافعين على الآخر" (40).

وانطلاقا من رؤية علماء النفس نلحظ أن الشاعر يغالب دافعين متناقضين : بين المكوث إلى جانب محبوبته والتمتع بقربها، وبين السعي إلى تغيير الواقع المؤلم المتمثل في فقره الذي حتَّم عليه السفر بعيداً عن محبوبته، وهما متساويان في الشدة ،ما سبَّب له

حالةً من التوتر والحيرة بسبب عجزه عن الوصول لحلّ واتخاذ القرار بتفضيل أحد الدافعين على الآخر، صارع الشاعر رغبات (الهو) في الحصول على الرزق بأي وسيلة، وكذلك المكوث بجانب محبوبته وبين ضميره (الأنا العليا) الذي يأبى أن يطاوع رغبات (الهو)، فضميره يتطلع إلى حياة كريمة لها وإلى التسامي فوق الرغبات الغريزية، حتى ولو كانت مشروعة (في حال كانت المحبوبة زوجته) أو غير مشروعة (لو لم تكن زوجته)، فكان على (الأنا) أن تتدخل متخذة سبيل الوساطة بين ضلعي مثلث الشخصية، فالتمست سبيل الرحيل طلبًا للرزق، فهو طريق مشروع وفي الوقت نفسه سبيل إشباع شهوة المال، وهذا الصراع الذي حسمته وساطة (الأنا) بين (الهو) و(الأنا) الأعلى زاد من معاناة الشاعر وأرهقه وندم على تلك الوساطة حيث تمنَّى ألا تكون قد حدثت، وأن يكون (الهو) سيد الموقف الذي يلخص في الصراع النفسي بين المطالب المادية التي هي من واجبات الشاعر ومفارقته محبوبته.

ثم يصرح شاعرنا :

وَدَّعتُهُ وَبِوُدّي لَو يُوَدِّعُنِي صَفوُ الحَياةِ وَأَنّي لا أَودعُهُ

فقد كبت رغبة (الهو) في التمتع بأنس محبوبته بوداعها، وتمنَّى أن يفقد (راحة النفس) (متعة (الأنا) الأعلى) (صفو الحياة) وألا يكون قد كبت رغبة (الهو).

جلد الذات

يقال – كما ذكرنا آنفا – إنَّه مات كمدًا؛ جرَّاء ما حدث له وندمه على ترك بغداد، وأرى أن ندمه الشديد أوقعه في صراع مع (الأنا) الأعلى التي حمَّلها كل مصائبه لضغطها على (الهو)، ما أنشأ لدينا معاناة جديدة أسموها بجلد الذات أو (الماذوخية) ، (41) ومن يعانون هذا يشعرون بالذنب تجاه سلوكهم، ما يؤدي بهم إلى إخفاء سلوكهم عن الآخرين.. والشخص الذي يؤذي نفسه لا يسعى عادة إلى إنهاء حياته الخاصة، مع عدم استبعاد السلوك الانتحاري، بل هذا اقترح بأن يستخدم إيذاء النفس كآلية مساعدة لتخفيف آلامه أو عدم الراحة النفسية (42) .

وها هي الاحباطات تتوالى تترى، وقد انتهت باعتلاله، وهو الآن في انتظار الموت، وشاعرنا تطارده عقدة الذنب، وتقضُّ مضجعه فيصرّح بأنه يستحق أن يجني غرس ما اقترفت يداه، وتتضح مظاهر جلد الذات في قوله :

قَد كانَ مُضطَلَعاً بِالخَطبِ يَحمِلُهُ فَضُيِّقَت بِخُطُوبِ الدهرِ أَضلُعُهُ

وقوله : يَكفِيهِ مِن لَوعَةِ التَشتِيتِ أَنَّ لَهُ مِنَ النَوى كُلَّ يَومٍ ما يُروعُهُ

وأيضاً : إِنّي أَوَسِّعُ عُذري فِي جَنايَتِهِ بِالبينِ عِنهُ وَجُرمي لا يُوَسِّعُهُ

و:اعتَضتُ مِن وَجهِ خِلّي بَعدَ فُرقَتِهِ كَأساً أَجَرَّعُ مِنها ما أَجَرَّعُهُ

و : كَم قائِلٍ لِي ذُقتُ البَينَ قُلتُ لَهُ الذَنبُ وَاللهِ ذَنبي لَستُ أَدفَعُهُ

و : إِنّي لَأَقطَعُ أَيّامِي وَأَنفِذُها بِحَسرَةٍ مِنهُ فِي قَلبِي تُقَطِّعُهُ

و : بِمَن إِذا هَجَعَ النُوّامُ بِتُّ لَهُ بِلَوعَةٍ مِنهُ لَيلى لَستُ أَهجَعُهُ

و : لا يَطمِئِنُّ لِجَنبي مَضجَعُ وَكَذا لا يَطمَئِنُّ لَهُ مُذ بِنتُ مَضجَعُهُ

قد صبَّ شاعرنا جام غضبه على ذاته، فقام يجلدها بقسوة شديدة وبكلمات قاسية :

لوعة – نوى– ضيقت أضلعه – جرمي – أجرع – البين – ذنبي – لا يطمئن

وكأنه ينتقم من تلك الذات التي أوصلته إلى الفشل في تحقيق حلم الثراء وحلم تحقيق حياة أفضل له ولزوجته الحبيبة .

التواصل الروحي والمشاركة الوجدانية

يؤكد الشاعر في غير مناسبة أنَّ محبوبته تشعر بما يشعر به، وتعاني معاناته نفسها، وهو على يقين بهذا يصل إلى حد القناعة التامَّة، وأرى أن هذا اليقين يتأتَّى من خلال قوة العاطفة التي يشعر بها ابن زريق، فقلباهما أصبح واحدًا، يشعر بشعور واحد، ويتأثر بالمؤثرات الخارجية، والداخلية نفسها، كما تتضح تلك الثقة من خلال اللغة نفسها، واللهجة التقريرية، فليس هناك أي لفظة من ألفاظ توحي بالشك أو الظن، ويتضح ذلك في قوله :

لا يَطمِـئنُّ لِجَنبــي مَضــجَعُ وَكَـذا لا يَطمَـئِنُّ لَـهُ مُـذ بِنـتُ مَضــجَعُهُ
مــا كُنــتُ أَحسَــبُ أَنَّ الــدهرَ يَفجَعُنِــي بِــهِ وَلا أَنَّ بِــي الأَيّــامَ تَفجعُــهُ

وقوله :

مَن عِندَهُ لِي عَهدُ لا يُضيّعُهُ كما لَهُ عَهدُ صِدقٍ لا أُضَيّعُهُ
وَمَن يُصَدِّعُ قَلبي ذِكرَهُ وَإِذا جَرى عَلى قَلبِهِ ذِكري يُصَدِّعُهُ

إلى الحدِّ الذي جعله يقسم في البيت الأخير بقسم محذوف جاء بجوابه، وعطف عليه بمشاركتها له :

لَأَصبِرَنَّ على دهر لا يُمَتِّعُنِي بِهِ وَلا بِيَ فِي حالٍ يُمَتِّعُهُ

ولو نظرنا إلى تلك المشاركة الوجدانية فهو يراها تشاطره ما يأتي :

- معاناة المضجع بالأرق
- فجيعة كل منهما بالآخر
- الحفاظ على العهد
- تصدع القلب بذكر كل طرف للآخر

ولا أجد ما تشارك به شاعرنا ومحبوبته يبتعد عن مفهوم المشاركة الوجدانية من منظور علماء النفس، حيث يرون أن المشاركة الوجدانية هي : "الألفة والمحبة والرغبة في تقديم المساعدة للآخرين، ومشاركتهم مشاعرهم والاهتمام بهم والشعور بهم وبحاجاتهم وإظهار التقدير والاحترام لهم" (43) .

ويرى علماء النفس أنَّ المشاركة الوجدانية لها أبعاد ثلاثة :

- المكوِّن الانفعالي : وهو ميل الفرد للشعور بالمشاركة الوجدانية للآخرين .

ويتمثل هذا المكوِّن عند شاعرنا في معاناة المضجع بالأرق وفجيعة كل منهما بالآخر وكذلك تصدع القلب بذكر كل طرف للآخر .

- المكوِّن المعرفي : وهو القدرة على تحديد وفهم الآخرين ويتمثل عند شاعرنا في حفاظ كل منهما على عهد الآخر.
- المكوِّن الأخلاقي : وهو الدافعية للبحث عن الأفضل والأحسن لدى الآخرين (44) .

ويتمثل في القصيدة كلها من خلال مقاومته للواقع، ومحاولة تغييره وسفره؛ ليوفر لها وله عيشًا كريماً.

ومن خلال الرؤية النفسية للمشاركة النفسية وأبعادها نجدها قد تحققت فيما صرَّح به الشاعر، فالمكون الانفعالي يتضح جليًا في اهتمامه وجدانيا بمحبوبته، حيث يشعر بشعورها من الأرق والوحشة والوحدة بدونه وتصدُّع قلبيهما، كما تحقق المكون المعرفي من خلال معرفته بحفاظها على عهده، ويظهر لنا المكون الأخلاقي في الأساس من سبب خروجه من بغداد للبحث عن الأفضل لها وله .

وبهذا فقد تحققت أبعاد المشاركة الوجدانية للشاعر مع محبوبته .

الإحساس بقرب النهاية مع استجداء اللقاء

يستحلف شاعرنا منزل حبيبته بالله أن يجيبه على سؤاله الذي يحمل التمني في طياته أن تعود لذتهما بالقرب والأنس ببعضهما بعضا:

بِاللهِ يا مَنزِلَ العَيشِ الَّذي دَرَست آثارُهُ وَعَفَت مُذ بِنتُ أَربُعُهُ

هَل الزَمانُ مَعِيدُ فِيكَ لَذَّتُنا أم اللَيالِي الَّتي أَمضَتهُ تُرجِعُهُ

ليقفز السؤال المغلف بأمنيات غالية فيستخدم (هل) الاستفهامية التي تحمل أحلاما جميلة بلقاءٍ محبب في علم الغيب أودعه الشاعر خلاصة أفكاره التائهة التي حاول أن يلم

شتاتها فجاءت في ذلك السؤال الوجودي بالنسبة لروحه الحالمة المتلهفة التي تتحرق شوقاً لتحقيق أمل يعني الحياة بالنسبة للشاعر .

ثم يأتيه شعور الموت فيتحسَّر على ذلك البيت الذي ضمهما سويًا، حيث تبرز النبرة الجنائزية حين خاطب منزل العيش الدافئ مع محبوبته قائلاً :

فِي ذِمَّةِ اللهِ مِن أَصبَحَت مَنزلَهُ وَجادَ غَيثٌ عَلى مَغناكَ يُمرِعُهُ.
مَن عِندَهُ لِي عَهدُ لا يُضيّعُهُ كما لَهُ عَهدُ صِدقٍ لا أُضَيّعُهُ
وَمَن يُصَدِّعُ قَلبي ذِكرَهُ وَإِذا جَرى عَلى قَلبِهِ ذِكري يُصَدِّعُهُ

و كأنَّ الشاعر هنا يرثي نفسه؛ فالبيت الذي يرثيه بعبارة (في ذمة الله) يمثل في الحقيقة حياته التي تركها ليموت في غربته كمدًا، ثم يؤكد المشاركة الوجدانية سابقة الذكر بقوله :

لَأَصبِرَنَّ على دهر لا يُمَتِّعُنِي بِهِ وَلا بِيَ فِي حالٍ يُمَتِّعُهُ

ثم يحدوه الأمل من خلال تصاعد وارتفاع روح الأمل مرة أخرى، ولا أراني أجانب الصواب حين أرى أن ذلك من منطلق أن الإنسان حين يقبل على الموت ويصل لمرحلة اليأس وقرب الوفاة تعتلّ صحته ثم يرتفع المستوى الصحي فجأة لوقت قليل، يعقبه الموت، ما يطلق عليه العوام (حلاوة الروح) وذلك مما نشاهده ونلمسه من خلال واقعنا المعاش، وذلك حين قال :

عِلماً بِأَنَّ اِصطِباري مُعقِبُ فَرَجاً فَأَضيَقُ الأَمرِ إِن فَكَّرتَ أَوسَعُهُ

حيث جاءه إحساس الفرج والمعافاة الجسدية فيعاوده الأمل في العودة مرة أخرى رغم إحساسه الدفين بشبح الموت فيتمنى أن تجمعهما الليالي :

عَسى اللَيالي الَّتي أَضنَت بِفُرقَتَنا جسمي سَتَجمَعُنِي يَوماً وَتَجمَعُهُ

وفي ختام القصيدة يصف ابن زريق، في تعبير صاف مؤثر ونسيج شعري محكم، واقع حاله في الغربة، بين الأسى واللوعة، والألم والندم، وهنا ينفسح المجال للتأمل وينطلق اللسان بالحكمة التي انضجتها التجربة، ويشرق القلب بالدموع

حيث يستسلم في النهاية للقدر المحتوم بعبارة مفعمة بالإيمان بالله والتسليم لقضائه، وأرى أن خاتمة القصيدة بهذا البيت جاءت قبيل وفاته بوقت قصير جدًا ، حيث الشعور شبه اليقيني بالموت والاستسلام والرضا بقضاء الله :

وَإِن تُغِلُّ أَحَدَاً مِنّا مَنيَّتَهُ فَما الَّذي بِقَضاءِ اللهِ يَصنَعُهُ

وهذا التماوج في الأحاسيس ما بين الرجاء واليأس، ثم الأمل يعقبه استسلام يبرز لنا حالة ما قبل الموت التي عاشها الشاعر، والتي تخصه وحده بوصفه شاعرًا، من خلال تجربة فريدة من نوعها لم تتحقق لكل المبدعين .

ذلك التماوج الذي يسير وفق نبرة إيقاعية تعلو تارةً وتنخفض أخرى حسب الحال النفسية التي يمر بها شاعرنا ، فعند الأمل تعلو هذه النبرة في حين تنخفض حدتها عند الاستسلام لتصل إلى ما يشبه الهمس المشوب بالأنين .

وأخيراً..

من خلال استعراض الظواهر النفسية بالقصيدة تتبدى لنا الظاهرة الرئيسة التي تفرع عنها كل ما سبق ألا وهي الإحباط، والإحباط كما يراه الفلاسفة وعلماء النفس هو الحيلولة دُونَ تحقيقِ المرءِ رغبةً مِن رغَباتِه، سواء أكان لهذه الرغبة ما يبررها أم لا، ويصاحب ذلك ضرب من الحسرة وخيبة الأمل(45) وهو ما تعبر به القصيدة أصدق تعبير، فما كانت كلماتها إلا نتاج الحيلولة دون تحقيق آمال وطموحات الشاعر، وما أفرزته تلك التجربة المريرة من حسرة وخيبة أمل أصابت قائلها فمات كمداً .

الخاتمة

خرج البحث بنتائج عدة نجملها فيما يأتي :

ظهر لنا من خلال البحث أنَّ الأدب نتاج معاناة نفسية، وأنَّ عملية الإبداع الأدبي لا تنفصل عن علم النفس؛ فقد تآزرت كل الظواهر اللغوية والبلاغية في إبراز معاناة الشاعر النفسية وبلورة الحالة النفسية الفريدة لشخص يوشك على الموت تجسدت كل أحلامه وطموحاته في لاشيء .

شكك بعض الباحثين في وجود الشاعر ابن زريق وفي نسبة القصيدة إليه، ردّ الباحث على بعضها بما توافر لديه من معطيات .

توافر للقصيدة من عوامل الإبداع ما كتب لها الخلود لما يربو عن الألف عام فما هي إلا دفقة شعورية خرجت من قلب شاعر مرهف وما خرج من القب وجد سبيله ممهدا إلى القلوب، فلم يقتصر تأثيرها النفسي على الشاعر بل على المتلقي الذي شاركه آلامه ومعاناته، فلا يجد نفسه إلا وقد ترك لعاطفته العنان مواساة لشاعر وشفقة عليه.

من وسائل التأثير النفسي التي نفذت إلى وجدان المتلقي استخدام الحوار والمشاهد التمثيلية وأساليب القسم والصدق الفني، وسلامة الأفكار عن طريق الحكم التي ضمنها أبياته واستخدام قافية العين المضمومة المنتهية بالهاء.

لاحظنا أن من أهم صفات الشاعر التي برزت من خلال الأبيات صفة التدين، تلك الصفة التي جعلته يتقبل قضاء الله فلم يبد اعتراضا ولم يلق باللائمة إلا على نفسه، وجعلته مستسلماً تمامًا لقضاء الله .

وجدنا القصيدة قد حفلت بالعديد من الظواهر النفسية والحالات الإنسانية، التي عمقت تأثيرها في المتلقي، ثرية بالإيحاءات النفسية والدلائل السيكولوجية، وفيها استبطان للنفس البشرية التي عانت في سبيل تغيير الواقع وصارعت في سبيل توفير رغبات (الهو) و(الأنا) وإرضاء (الأنا العليا) (الضمير).

لاحظنا أنه افتتحها بصراع (الأنا) و(الهو) و(الأنا العليا)، كما ظهرت لنا ثنائية الشعور واللاشعور وبروز غرائز حاول الشاعر إخفاءها وقد وضعنا تفسيرًا لها من خلال معطياتها التي أفرزتها، وأهمها الغريزة الجنسية التي واراها الشاعر من خلال عملية تعويض بالألفاظ كي يتسامى بها عن تلك الرغبات .

كما تبيَّن لنا سيطرة (الأنا) و تأزُّم الصراع النفسي في أبيات أبرزت ذلك الصراع، و بدا لنا بروز ظاهرة (جلد الذات) سبَّبه الإحساس الشديد بالندم، كما لمسنا تأكيد الشاعر عملية التواصل الروحي والمشاركة الوجدانية في الأحاسيس والأفكار بينه وبين محبوبته، واستنتجنا الإحساس بقرب النهاية مع استجداء اللقاء، وكذلك تماوج أحاسيس الموت وخلخلة الروح بالجسد قبل فراقهما النهائي .

تدور كل الظواهر النفسية في القصيدة في فلك واحد محوره الإحباط الذي تعرض له الشاعر هو الذي أصابه بكل معاناته النفسية فمات كمدًا .

الهوامش

1) سعد أبو الرضا : نحو منهج نفسي في نقد الشعر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، المكتبة الثقافية (388) ص 28

2) ينظر: عبد القادر فيدوح،: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1994م ، ص 48 .

3) أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، بن عكنون، الجزائر :(ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت)، ص 12

4) انظر : عباس محمود العقاد: دراسات في المذاهب الأدبية الاجتماعية ، بيروت: المكتبة العصرية ، 1965،)

5- العقاد : "النقد السيكولوجي " جريدة الأخبار المصرية، 5 /4 / 1961 م .

.6) مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفني، القاهرة : دار المعارف، 1967

.

7) محمد النويهي: نفسية أبي نواس، القاهرة: مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، 1970م.

7) سعد أبو الرضا : نحو منهج نفسي في نقد اشعر الهيئة العامة للكتاب 1984 المكتبة الثقافية 388 ص 44 وما بعدها

8) عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، بيروت :دار العود، دار الثقافة ، (د.ت)

9) مصري حنورة : الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية، الهيئة العامة للكتاب 1979

10) سعد أبو الرضا : نحو منهج نفسي في نقد الشعر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، المكتبة الثقافية (388) ص 44

11) لم أجد من بين كتب الأعلام سوى ترجمته المقتضبة في : ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، تح : أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى،ج21 بيروت: دار احياء التراث العربي، 2000م ، ص76 – 77

وكذلك : ، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي: الكشكول، تح :محمد عبد الكريم النمري، ج1بيروت : دار الكتب العلمية، ،1418هـ -1998م ، ص 93-94.وأيضا: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تح : إحسان عباس، ج5،بيروت : دار صادر،1994م ، ص 338.

و ثمة من اكتفى بذكر ابن زريق دون اسمه كاملا ، انظر: ، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ج10،ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، 2010م، ص 532 وجابر قميحة، القصيدة العينية..الفراقية ..اليتيمة..لابن زريق، رابطة أدباء الشام بتاريخ 3 أيلول 2005، ص3

كما أنه لابن زريق أرجوزة في الأخلاق ترجمها المستشرق ديلس للألمانية. راجع: كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، ترجمة :عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، ج2،ط2، القاهرة: دار المعارف ، 1977م ص 66-67.

12) عمر فروخ: الأدب العربي،ج3، ط3 ، بيروت : دار التراث العربي، 1995م، ص50

13)ينظر : عمر رضا كحّالة: معجم المؤلفين، ج7بيروت:دار إحياء التراث العربي، (د. ت) ، ص95

14) ، أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسين القارئ السراج:مصارع العشاق، ج1، ط3، بيروت : دار صادر ، 2007م ص 23

15) انظر : الصفدي :الوافي بالوفيات،. 21/77–76 وكذلك : العاملي: الكشكول، ج1، ص 93–94.وأيضا: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ، ج5، ص 338

16) انظر هامش رقم 12وتاريخ الأدب العربي، ج2، ص 66–67.و تاريخ الأدب العربي : ، الملحق 1 /133 و الصفدي: الوافي بالوفيات، 6 / 396 وابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس، ط2، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1987 م ، ص 200–201.

(17) انظر : نعمان ماهر الكنعاني: شعراء الواحدة، ط2 ، بغداد، منشورات مكتبة النقاء ، 1985م ص93 – 94

18) جدير بالذكر أن لابن زريق أرجوزة في الأخلاق ترجمها المستشرق ديلس للألمانية. تاريخ الأدب العربي ، ج2، ص 67.

19) الوافي بالوفيات 21 / 77 – 78

20) انظر : نعمان ماهر الكنعاني : شعراء الواحدة ص 93 وما بعدها

21) تاريخ الأدب العربي : ، الملحق 1 /133

22) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة ،ج1، بيروت: المكتبة العصرية، 1424 هـ ، ص 123

23) إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ط4 ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية 1972م ، ص 177

24) عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، بيروت :دار العود، دار الثقافة ، (د.ت) ص 77

25) عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ص 58

26) فاروق شوشة : أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، القاهرة: دار غريب، 2003م ، ص 163–165.

27) القصيدة و/أو شذرات منها تجدها لدى: ، عبد الوهاب بن علي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ط2، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ ،ومصارع العشاق، ج1، ص 4–5، و الوافي بالوفيات، ج6، ص396، و الكشكول، ج1، ص 93–94. ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج10، ص 532–533 وأحلى عشرين قصيدة حب في الأدب العربي، دار الشروق، 1991، ص 165–171.

28) (الهو): وهو " مخزون الغرائز، الذي يحاول خفض التوتر أو إزالته بالإشباع وفق مبدأ اللذة، والتوتر ينجم عن طريقة الاستثارة الخارجية أو الداخلية".

انظر : جماعة من أساتذة التربية الحديثة وعلم النفس: علم النفس وأثره في حياتنا الحديثة، ت: ميخائيل البيطار، بيروت : منشورات مكتبة الحياة، 1974م 1974 ص74

29) (الأنا): وتلك (الأنا) هي التي تقوم بتفكيرنا المنطقي "والمتيقظة لما يجري حوله، وهي الذات الواعية والواقع المحكوم بالعادات والقوانين، انظر : علم النفس وأثره في حياتنا، ص75

30) (الأنا) العليا: "وهي الذات العليا التي تعرف (بالضمير) وهي ذلك الصوت الخفيف الذي يظهر لنا الحق والباطل..

انظر : علم النفس وأثره في حياتنا، ص75

31) عزت عبد العظيم الطويل: في النفس والقرآن الكريم ، ط 3، الإسكندرية :المكتب الجامعي الحديث ، 2004 م ،ص 35

32) عبد المنعم، الحفني: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، القاهرة: مكتب مدبولي، 1978 م، ص 405

33) ساسين عساف : الصورة الشعرية، ط1،بيروت: دار الكتب الجامعية للطباعة والنشر، 1982 م ص 51

34) صمويل تامر بشرى: الاكتئاب والعلاج بالواقع، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2007م ، ص54

35) عبد الستار إبراهيم: الاكتئاب – اضطراب العصر الحديث– فهمه وأساليب علاجه، الكويت: دار المعرفة، 1998م

36) أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير ،تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2 ، القاهرة: مكتبة ابن تيمية ، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 ط1 الرياض: دار الصميعي ، 1415 هـ – 1994 م،

37) إسماعيل الملحم: التجربة الإبداعية في دراسة سيكولوجية الاتصال والإبداع ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003 م ص 29 و 30 (بتصرف)

38) عثمان علي أمين: في الصحة النفسية، الخمس: الدار العلمية، 2004 م ص 18

39) أمين مرسي قنديل : أصول علم النفس وأثره في التربية والتعليم ط4 لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة د.ت ص 67

40) الحفني عبد المنعم : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، القاهرة: مكتب مدبولي، 1978 م، ص 405

41) ولجلد الذات أسماء منها: تحقير الذات، وإذلال الذات، كما أنه من أخطر الأمراض النفسية، فهو شعور سلبي يتنامى غالبًا في أوقات الهزائم، تتجلَّى فيه أعلى نسبة للسلبيَّة المتنامية جرَّاء الإحباطات الناتجة عن الهزائم النفسيَّة كما أن المازوخية اسم مأخوذ من اسم روائي نمساوي (1836 . 1895) اسمه (ليوبورد ساشر مازوخ) ، وذلك لأن معظم شخصيات الروائية تستمتع بالألم الجسدي الذي يوجه إليهم ، فضلا عن الإهانات والتعذيب، انظر : طه، فرج عبد القادر وآخرون : معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيرق: دار النهضة العربية،(د.ت)

42) حسن النجار: جلد الذات ، شبكة الألوكة http://www.alukah.net/social/0/30647

43) أحمد الطريا، وفلاح المولى،: "المشاركة الوجدانية لدى طلبة المرحلة الإعدادية في ضوء بعض التغيرات" مجلة العلوم التربوية والنفسية 88 2012 ص 28

44) السيد منصور: التقمص الوجداني وعلاقته بكل من الإيثار والعفو، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس 5(3) 2011 ص 345– 346

45) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، القاهرة، جمهورية مصر العربية: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م – 1403 هـ، صفحة 3

قائمة المراجع

القرآن الكريم

الكتب

- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ط4 ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1972م
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس، ط،2 ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1987 م
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تح : إحسان عباس، بيروت ، دار صادر،1994م
- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م
- أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير،تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2 ، القاهرة: مكتبة ابن تيمية ، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد 13 ط1 الريا، دار الصميعي ، 1415 هـ – 1994 م
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة ، بيروت، المكتبة العصرية، 1424 هـ ،
- أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسين القارئ السراج: مصارع العشاق، ، ط3، بيروت ، دار صادر ، 2007م
- أحمد حيدوش: الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، بن عكنون، الجزائر ،(ديوان المطبوعات الجامعية، د.ت)
- إسماعيل الملحم: التجربة الإبداعية في دراسة سيكولوجية الاتصال والإبداع ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003 م
- أمين مرسي قنديل : أصول علم النفس وأثره في التربية والتعليم ط4 لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة د.ت
- جماعة من أساتذة التربية الحديثة وعلم النفس: علم النفس وأثره في حياتنا الحديثة، ت: ميخائيل البيطار، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة، 1974م 1974

- الحفني عبد المنعم : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، القاهرة، مكتب مدبولي، 1978 م
- ساسين عساف : الصورة الشعرية، ط1، بيروت: دار الكتب الجامعية للطباعة والنشر، 1982 م
- سعد أبو الرضا : نحو منهج نفسي في نقد الشعر، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب 1984 المكتبة الثقافية 388
- سعد أبو الرضا : نحو منهج نفسي في نقد الشعر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، المكتبة الثقافية (388)
- سعد أبو الرضا : نحو منهج نفسي في نقد الشعر، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، المكتبة الثقافية (388)
- السيد منصور: التقمص الوجداني وعلاقته بكل من الإيثار والعفو، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس 5(3) 2011
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، تح : أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى،ج21 بيروت، دار احياء التراث العربي، 2000م
- صمويل تامر بشرى: الاكتئاب والعلاج بالواقع، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 2007م
- طه، فرج عبد القادر وآخرون : معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيرق، دار النهضة العربية،(د.ت)
- العاملي محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي: الكشكول، تح :محمد عبد الكريم النمري، بيروت ، دار الكتب العلمية، ،1418هـ –1998م
- عباس محمود العقاد: دراسات في المذاهب الأدبية الاجتماعية ، بيروت، المكتبة العصرية ، 1965،
- عبد الستار إبراهيم: الاكتئاب – اضطراب العصر الحديث– فهمه وأساليب علاجه، الكويت، دار المعرفة، 1998م
- عبد القادر فيدوح،: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1994م
- عبد المنعم، الحفني: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، القاهرة، مكتب مدبولي، 1978م

- عبد الوهاب بن علي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ط2، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ
- عثمان علي أمين: في الصحة النفسية، الخمس، الدار العلمية، 2004 م
- عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، بيروت ، دار العود، دار الثقافة ، (د.ت)
- عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العود، دار الثقافة ، (د.ت)
- عزت عبد العظيم الطويل: في النفس والقرآن الكريم ، ط 3، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2004 م
- عمر رضا كحّالة: معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)
- عمر فروخ: الأدب العربي، ط3 ، بيروت، دار التراث العربي، 1995م
- فاروق شوشة : أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، القاهرة، دار غريب، 2003م
- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، ترجمة :عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، ط2، القاهرة، دار المعارف ، 1977م
- مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، القاهرة، جمهورية مصر العربية: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م – 1403 هـ
- محمد النويهي: نفسية أبي نواس، القاهرة، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، 1970م.
- مصري حنورة : الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية، الهيئة العامة للكتاب 1979
- مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفني، القاهرة ، دار المعارف، 1967
- نعمان ماهر الكنعاني: شعراء الواحدة، ط2 ، بغداد، منشورات مكتبة النقاء ، 1985م

البحوث والدوريات والصحف

- أحمد الطريا، وفلاح المولى،: "المشاركة الوجدانية لدى طلبة المرحلة الإعدادية في ضوء بعض التغيرات" مجلة العلوم التربوية والنفسية 88
- جابر قميحة: "القصيدة العينية..الفراقية ..اليتيمة..لابن زريق" ، رابطة أدباء الشام، بتاريخ 3 أيلول 2005
- السيد منصور: "التقمص الوجداني وعلاقته بكل من الإيثار والعفو" مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد 5(3) 2011 م .
- العقاد : "النقد السيكولوجي " جريدة الأخبار المصرية، 5 /4 / 1961 م .

مراجع الإنترنت

النجار، حسن: جلد الذات ، شبكة الألوكة http://www.alukah.net/social/0/30647